الأهداف الفكرية للصِدام الحضاري في فكر الإمام علي (عليه السلام)
دراسة في نهج البلاغة

الباحثة :علياء باسم عبد فاضل

أ.د. حميد سراج جابر

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

ملخص البحث:

إن صِدام الحضارات مبني على مجموعة من الأهداف سببها ، روح التنافس بين البشر ومنها الأهداف الفكرية ، بسبب تمتع كل حضارة بسمات ثقافية وفكرية تختلف عن غيرها من الحضارات، ومحاولتها نشر أفكارها وثقافتها ، أو فرضها على المجتمعات البشرية الأخرى مما يخلق تصادماً مع بعضها لا سيما مع محاولة الحضارات الأخرى تأكيد هويتها الثقافية و المحافظة عليها مما يثير حدة التنافس والصراع بينها .

الكلمات المفتاحية : الأهداف الفكرية ، الصِدام الحضاري، فكر الإمام علي (عليه السلام) ، نهج البلاغة .

Intellectual Goals of Civilization Clash in Imam Ali's Thoughts (Peace be upon him): A Study in Nahj Al-Balagha

Researcher: Aliaa basim abd fazil
Prof.Dr. Hameed Siraj Jaber
Dept. of History, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

Clash of civilizations is based on a set of goals caused by the spirit of competition between people such as the intellectual goals. This competition exists because each civilization is characterized by cultural and intellectual features that differ from the features of other civilizations. Moreover, each civilization tries to spread its ideas, and culture and impose them on other human societies which creates a conflict or a clash between them. The other civilizations try to confirm their cultural identities and preserve them which in turn raises the intensity of competition and conflict between them.

Keywords: Intellectual goals , civilization conflict , Imam Ali's Thoght , Nahj Al-Balagha .

بالنظر لوجود التنوع الثقافي الذي يعد من القوانين الطبيعية في الحياة البشرية يكون الصدام الحضاري امراً مفروغاً منه لاسيما مع وجود اشخاص يتمتعون بذهنية تتمتع بالعصبية والعنصرية و الانغلاق الفكري ، وغيرها من الامور التي لا يرتضيها العقل السليم، لان هذه الصفات تسبب التشتت و الضعف ،و نزاعات، و مشاجرات، وقتال، و هذه الامور تذهب الامن والسلام [١] وإن هذا النوع من الصدام يحدث بين فكرتين مختلفتين ومتناقضتين سواء كانت افكارا سياسية او مذهبية او عرقية .

ان الناس كانوا ولا زالوا مذاهب مختلفة و أراء متفرقة وهذا ما اكد عليه الامام علي بقوله (عليه السلام) : **(إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّه سُبْحَانَه مُحَمَّداً ... ، وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّه للَّه بِخَلْقِه أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِه ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه)**[٢] اشارة الى احوال أهل الارض قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم إذ كانوا في اصناف مختلفة في العادات و التقاليد واديان شتى موزعة مختلفة لا تعترف بعضها ببعض فهناك النصارى لا يعترفون باليهودية والعكس اضافة الى وجود الصابئة، و المجوس، و غيرهم وايضا هناك ملل مختلفة منهم العرب و الروم والفرس و الهند اختلفوا في الرأي و لكل جماعة اتجاه مختلف ، ومنهم الذين شبهوا الله بخلقه وزعموا ان له ولد كما هو الحال بالنسبة لبعض الطوائف التي تعتنق الشريعتين اليهودية و المسيحية [٣] ومنهم الذين الحدوا في اسمه وعبدوا غيره من اصنام و حجارة او ظواهر طبيعية وغيرها [٤] .

وفي مناسبة اخرى يركز (عليه السلام) على الاختلاف الذي ساد في الفترات التي سبقت بعثة النبي في قوله : **(أَرْسَلَه عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ)**[٥] اي ان هذه الفترة أتسمت بتشتت الافكار و الآراء، لان هناك قوماً يعبدون الاصنام واخرون يعبدون الشمس و طائفة تعبد المسيح وهكذا فإن كل طائفة تخالف منافسيها وتجادلهم وتنازعهم بألسنتهم لقيادتها الى معتقداتها [٦] و ان هذه الخلافات و التنازعات لم تكن حوارات منطقية و فكرية بل قامت على اساس التعصب و الانانية كلٌ يريد اثبات احقية افكارهم و آرائهم وغالباً ما تكون هذه الخلافات و التنازعات سبباً لحدوث معارك طاحنة و سفك الكثير من الدماء . [٧]

ان عدم قبول المجتمعات لثقافات و افكار بعضها يجعل هناك اختلافاً يؤدي الى اصرارها على التنافس من اجل حصول ثقافاتها وقيمها على الافضلية ، لذلك تسعى الحضارات و على مر التاريخ لنشر هذه الثقافة في العالم حتى وان استخدمت القوة لفرضها على خصمائها ، وبالعادة فإن الحضارة الاقوى سياسياً هي التي تنجح في فرض افكارها و ثقافاتها على الحضارات الاقل قوة ، ويتضح هذا الفهم في كلام الامام علي (عليه السلام) في قوله : **(ومِنْهُمْ**

الْمُصْلِت لسَيْفِه والْمُعْلِنُ بِشَرِّه – والْمُجْلِبُ بِخَيْلِه ورَجِلِه – قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَه وأَوْبَقَ دِينَه – لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُه أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُه – أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُه)[٨] .

فمن اجل نشر افكارهم و ثقافاتهم (التي غالبا ً ما تكون ثقافات مضلة باطلة او اقصاء الثقافات و الافكار التي تخالفهم نهائيا) ، يوظفون كل امكاناتهم سواء كنت هذه الامكانات قوة من جيوش و سيوف او اموال او سلطة او علم يغوي به الناس و يبعدهم عن الطريق الصحيح [٩] وهم ارادوا اعتلاء المنابر للوصول الى عقول الناس و قلوبهم و القاء المجاهيل و الاضاليل عليهم [١٠] .

وهذه السياسة يتم استخدامها من قبل الحكومات الطاغية في الحضارات القديمة التي تستعمر الحضارات الاخرى ، و تعمل على بناء منظومة ثقافية في الحضارات المهزومة ويساعده ذلك على جعلها اكثر ارتباطا ً بالحضارات المُستعمِرة .

و نستدل من المفاهيم السابقة على سبب المحاربة المستمرة في كل مراحل التاريخ و في كل بقاع الارض للحق الذي يتمثل بالأنبياء و الصالحين الذين جاءوا بالرسالات السماوية من قبل اعداء الرسل و الصالحين الذين اصروا على اظهار العداوة للمبادئ الالهية و العاملين عليها من المؤمنين ، ، وقد قادهم تعصبهم لمبادئهم الباطلة و تكبرهم على غيرهم للقيام بهذا الصراع واستخدام اساليب متنوعة لتحقيق الانتصار وهذا ما اشار اليه الامام (عليه السلام) قائلا : **(الا وقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ وأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ – مُصَارَحَةً لِلَّه بِالْمُنَاصَبَةِ – ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ)**[١١] فهذه هي افعال اهل الباطل بشكل عام حتى وان خصص بعض الشراح هذا القول بفئة معينة [١٢] فإن اهل الباطل يتحركون بنفس الاساليب و الافعال في كل الازمنة من اجل نشر الافكار الفاسدة الباغية والخروج عن الحدود الالهية وارتكاب ما حرم الله من معاصي ، هذه الامر يعتبر عداء ً صريحا ً لله سبحانه و تعالى عن طريق محاربة دينه و اوليائه و الخروج لقتالهم بشتى الطرق لمنعهم من نشر الافكار والمبادئ الصحيحة التي يدعوا اليها الحق [١٣].

و يذكر الامام علي (عليه السلام) صورة اخرى لأتباع الباطل من اجل الوصول الى اهدافهم في نشر الافكار الفاسدة و التخلص من فكرة الحق وهي صورة التلبيس و خداع المجتمعات بأطلاق ظواهر الامور المُزينة و اخفاء بواطنها الفاسدة اذ قال (عليه السلام) : **(ومِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ – ولَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا – قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِه – وقَارَبَ مِنْ خَطْوِه وشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِه – وزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِه لِلأَمَانَةِ – واتَّخَذَ سِتْرَ اللَّه ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ)** [١٤] هذا الصنف من الناس يظهر في كل زمان حيث هم في الظاهر يعملون الخير و يتنزهون بأعمالهم و يعملون على مساعدة الناس من اجل كسب ثقتهم واصطياد قلوبهم لكنهم في

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٧ – آذار لسنة ٢٠٢٢

الواقع يريدون ان يستدرجوا عقولهم ليتقبل الناس افكارهم بكل رحابة و هذا هو باطن اعمالهم و الهدف الحقيقي منها [١٥] .

من ثم يبين (عليه السلام) في قوله الوسائل التي يستخدمونها لاستدراج العقول :

١-يظهرون تواضعهم للناس ، لأنه من صفات اهل الصلاح والابرار و البر .

٢-يدعون الوقار و الاتزان .

٣-يعملون على زخرفة افكارهم الباطلة بالكلمات المعسولة و يزينوا كلامهم بالمواعظ و الحكم من اجل ائتمانهم .

وقد ترجم القرآن الكريم هذه السلسلة التاريخية من الصِدام بين الحق والباطل و لأهداف فكرية في قوله تعالى : **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)** [١٦] إذ ان مسألة الصدام تشمل كل الانبياء و الرسالات السماوية ومن يتبعها من المؤمنين الذين حملوا الرسالات بكل صدق و قوة بفضل وجود اولئك الذين يتنكرون على الخط الرسالي و يتمردون عليه من ثم يعملون و من اجل التخطيط للقضاء على الرسل و رسالاتهم و ابعاد الناس عنها و تشويه القيم الروحية والفكرية ، التي نادوا بها و كما تبين ان هذا الصدام يحدث لغايات فكرية لان الافكار التي جاء بها اهل الحق وهي الدعوة الى توحيد الله و نبذ الاوثان ونشر العدل وترك الظلم هي افكار تناقض المفاهيم التي عرفها اهل الباطل وبالتالي يتحركون لمحاربة هذه الافكار دفاعاً عن الافكار التي اعتمدوها ، هؤلاء مثلوا المجموعة الاولى الذين وصفتهم الآية القرآنية (بشياطين الانس) [١٧].

بينما المجموعة الاخرى[١٨] تمثلت بشياطين الجن الذين يتزعمهم ابليس الذي يعد اول من بدأ بمحاربة المبادئ الالهية و محاربة رسله ، هذه المجموعة يتبعون طريق الوسوسة ليبعدوا الناس عن الحق و العدل ويعملون على تزيين الباطل واثارة الشهوات ، وهذا ما وضحه الامام علي (عليه السلام) في قوله : **(فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ – وأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ – ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ – فَ (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ – ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)** [١٩] **قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ورَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ)** [٢٠] ، فقد اقسم(عليه السلام)ان الشيطان قد تهيأ و استعد ليغوي الناس و اجتهد في غوايتهم و ان خطره احاط بهم من جميع الجهات ليدلهم على افكاره و هي المظاهر المادية للدنيا و تزيين نعمها لهم لإغراقهم بمستنقع الشهوات و اللذات [٢١] وبهذه الطرق يمنعهم عن الاصغاء لأفكار الحق و يبعدهم عن اتباع اوليائه من المؤمنين بل يعملون على محاربتهم ، بسبب مخالفتها لأفكارهم و طموحاتهم التي اكتسبوها نتيجة وسوسة الشيطان .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٧ – آذار لسنة ٢٠٢٢

و هنا تشكل لدينا صِدام بين الحق والباطل ولأهداف فكرية ، لان ابليس اراد ان يضل جميع بني ادم واراد ان يحول الحق في نظرهم الى باطل ، و كذلك جعل الاشياء المنحرفة الشاذة مستقيمة عندهم ، اي انه استطاع ان يغير الافكار و المفاهيم التي كانت الهدف من خلق الانسان و هي رضا الله سبحانه وتعالى و عبادته اولا ، و اعمار الارض ، و اصلاحها كونه خليفة الله فيها ثانيا ، و استبدلها بأفكاره الباطلة من التكبر و العصبية و الغرور التي تؤدي الى العصيان بدلاً من العبادة و الفساد بدلاً من الاصلاح . فقد تلوثت الفطرة التي فطر الله الناس عليها وتغيرت القيم و المبادئ التي اراد من الناس السير عليها [٢٢] .

طال هذا التغيير الاغلبية الساحقة من بني ادم و في الواقع ان كل افعال ابليس هي من اجل تحقيق هذا الهدف ، ونشره للمفاهيم الخاطئة ادى الى كثرة وقوع الفتن و قد اوضح الامام (عليه السلام) سببين لوقوعها بقوله : (**انَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ – يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّه – ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّه**)[٢٣] ان المقصود بالفتن في هذا النص كما وضحها بعض الشراح الاختلاف في الرأي[٢٤] و ان اساس الاختلاف بين الناس يعود الى سببين كما وضحها الامام (عليه السلام) وهي :

١– ان علة الفتن هو اتباع المشتهيات النفسانية و الاهواء التي تصرف اهلها عن اتباع المبادئ والقوانين الالهية [٢٥]

٢– ابتداع اراء واحكام باطلة خارجة عن اوامر الله والمخالفة للقرآن الكريم و السنه النبوية

و ان السبب الثاني يرجع الى السبب الاول ايضا حيث ان اصحاب الاهواء يبتدعون من رأسهم رأياً و افكار جديدة ساذجة مخالفة للأحكام التي سنتها الديانات السماوية من اجل مصالحهم و طموحاتهم الشخصية ، فكل من له طموحاً سياسياً او يهدف الى جمع الثروات نراه يبتدع افكاراً تخالف الكتب المقدسة و احكامها او يعمل على تحريفها و تفسيرها تفسيراً خاطئاً بما يلائم اهوائه ، وهذا الامر كافي لأن ينشأ صداماً بين طرفين [٢٦]

و قد واجهت الشرائع خلال مسيرتها مثل هذه العقليات المنحرفة التي وقفت عائقاً امام حركة التقدم و سير حركة النبوة و ترجع جذورها الى عصور موغلة في التاريخ و هذا ما بينه الامام (عليه السلام) قائلا : (**والنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ، وتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ ، واخْتَلَفَ النَّجْرُ وتَشَتَّتَ الأَمْرُ ، وضَاقَ الْمَخْرَجُ وعَمِيَ الْمَصْدَرُ ، فَالْهُدَى خَامِلٌ والْعَمَى شَامِلٌ ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ ونُصِرَ الشَّيْطَانُ وخُذِلَ الإِيمَانُ**) [٢٧] وبفضلهم تصدعت اسس الدين عندهم و قد غيبت المعارف الدينية و قد شمل الاختلاف الجوانب الاصولية و الاساسية التي اعتمد الناس عليها نتيجة وسواس الشياطين و فتن عبدة الاهواء [٢٨] ، هذه الفتن قد استحكمت الناس و احاطت بهم

حتى اضحى ديناً يصعب عليهم الخروج منها ولم تترك لهم منفذا يهتدون به الى الله و طريق الحق ، فهم تمسكوا بالباطل المتمثل بالبعد عن الله و الفوضى والانحلال يعصون الله ولا يطاع له امر تاركين طريق الحق والعدل و الايمان و الالتزام بالواجبات والاوامر الالهية التي تجلب السعادة لهم ، وبهذا يكون الشيطان و اتباعه قد وصلوا الى اهدافهم بنشر مفاسدهم و كل انحرافاتهم و بذلك تحولت المجتمعات الى جماعات شيطانية تتسابق على فعل الفواحش و الرذائل (٢٩) .

لذلك تصادمت هذه الفئات مع من دعاهم الى الهدى و اتباع الحق دفاعاً عن انحرافهم الفكري الذي يخدم مصالحهم و اهوائهم و هذا ما اكده الامام علي (عليه السلام) في النهج : **(ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا – فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا – ولَا فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا)** (٣٠) فهم حاربوا كل من دعاهم الى ما فيه خير لهم من الانبياء و الصالحين الذين رفعوا عنهم الظلم و حطموا قيود الجهل و اخذوا بأيديهم الى الفكر السليم ورخاء العيش والمجتمعات المتطورة ، التي كانت بنظرهم خسارة لأرباحهم و منزلتهم (٣١)

لم تقتصر الاهداف الفكرية المؤدية الى الصِدام على المشركين و عبدة الاوثان بل شمل حتى الرسالات الالهية او بمعنى ادق (الشرائع السماوية التي حرفت من قبل اتباعها و هي اليهودية و المسيحية) حيث ساروا وراء اهوائهم و اتبعوا الشيطان و لاسيما رجال الدين و الاحبار الذين تمتعوا بمنزلة كبيرة في حضاراتهم و تحججوا بالدفاع عن معتقداتهم ، وإن تاريخ بني اسرائيل خير مثال على ذلك فقد حارب اليهود كل الرسل الذين ارسلوا اليهم و سفكوا دماء الكثير من الانبياء واتباعهم و هذا ما اشار اليه القرآن الكريم : **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)**(٣٢) ، فإن موقفهم من الانبياء يتحدد بموافقة النبي لثقافاتهم و اهوائهم و اطماعهم او عدم موافقته ، و بكل تأكيد ان فلسفة الانبياء ترفض الاتجاه المنحرف الذي تبناه بعض اليهود ، لذلك استكبروا على انبيائهم بما لديهم من مال او جاه او قوة ، وقد اتبعوا وسائل كثيرة في محاربتهم منها التكذيب عندما لا يستطيعوا قتلهم مثل نبي الله عيسى (عليه السلام) و النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ويقتلون اخرين كالنبي زكريا ويحيى (عليهم السلام) (٣٣) .

ان القران الكريم يعطي صورة اوضح لموقف اتباع الرسالات و علاقاتها التي تتصف بالخلاف و الخصومة و حاولت كل ديانة ان تثبت انها على حق وغيرها على باطل في الآية القرآنية : **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**

وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[٣٤] فأخذ كل فريق منهم يلغي معتقدات و افكار الاخرين و ينكرها و هذا ما حدث بين اليهودية والنصرانية حيث ان اليهود لا تؤمن بنبوة النبي عيسى و لا يعتقدون ان الانجيل هو كتاب مقدس من عند الله ، والمسيح انكروا اليهود لعدم اعترافهم بالمسيح و ان ايمانهم بالتوراة والنبي موسى لا ينفعهم ، غير معترفين بما انزل عليهم في كتبهم التي تحتوي على الحقيقة التي تبين لهم ان الدينين لهما قاعدة واحدة مشتركة ، لان هؤلاء لم يكونوا على استعداد لدخول في حوار علمي و فكري مع بعضهم فقد كانت تحركاتهم و علاقتهم مع بعضهم نابعة من تعصبهم و عنادهم ومع وجود هذه الصفات فإن حوار الاديان و ايجاد عقيدة مشتركة تكون اشبه بالمستحيلة [٣٥] .

ولعدم تناسب افكار الدعوة الاسلامية مع اهواء و اطماع و امتيازات رجال الدين من قساوسة المسيح و احبار اليهود عملوا على محاربتها بالعنف و النكران و الجحود ، وان كل الوسائل التي استخدمها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لإرضائهم و دخولهم الاسلام لم تجدي نفعاً معهم و بين القران الكريم سبب ذلك في قوله تعالى : **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)**[٣٦] جاءت هذه الآية القرآنية لتبين للمسلمين الواقع الذي يحيط بهم المتمثل بالفئات التي تخالفهم في الدين و ترى انها على حق وغيرها على باطل و التي هدفت الى جعل غيرهم عبيداً لهم يهرعون للحصول على رضاهم ، و تنتهي هذه العداوة في حال اتبع الناس ملتهم التي ابتدعوها بأهوائهم و نظموها بآرائهم [٣٧] في حين ان الحق هو ما انزل على الانبياء من تعاليم و حقائق لو امنوا بها و اتبعوها لما خالفوا الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) .

وقد شخص الامام (عليه السلام)نشر اصحاب الصِدام من اهل الباطل افكارهم و ثقافاتهم كرهاً و التخلص من مخالفيهم في الثقافة و هؤلاء يكَفرون من يخالفهم في الرأي و الفكر و لا يستهدفون فقط قيادات الفكر المخالف بل يشمل الاستهداف و العِداء عامة المجتمع وكل من يقف معهم و يتبنى فكرهم ، وهذا ما عاشه الامام (عليه السلام) واصحابه في تجربتهم مع الخوارج : **(فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وضَلَلْتُ – فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (ص) بِضَلَالِي – وتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي – وتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي – سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ – تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ والسُّقْمِ – وتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ)**[٣٨] فعندهم كل من خالفهم هو كافر ويستحق القتل فلا يأخذون بعين الاعتبار المسالمين من الناس او ان كان طفلاً او شيخاً كبيراً او امرأة ، و لذلك و حسب نظرة الخوارج يجب ان يحصر الاسلام فيهم وحدهم و غيرهم من الناس كلهم ضالون و ملحدون [٣٩] و قال بعض فرقهم ان الدار دار كفر لا يجوز الكف عن احد من اهلها [٤٠] .

ان وجود مثل هكذا فئات منحرفة لا تنتهي بانتهاء فترة زمنية معينة بل انه فكر ممتد في كل زمان و مكان ، و لا تقتصر على دين و مذهب معين ، فقد اشتركت في الاهداف و الاساليب و اختلفت في المسميات وهذا ما وضحه الامام (عليه السلام) في قوله : (**واللَّه إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وقَرَارَاتِ النِّسَاءِ- كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ - حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ**)[٤١] .

فقد نجد مثل هذه النماذج على مر التاريخ وصولاً الى الحاضر استخدموا اسلوب القتل تارة او التعذيب و الاقصاء تارة اخرى فقط لعدم انسجام شعاراتهم وافكارهم مع الطموحات و المصالح حتى و ان نادت هذه الافكار بالإصلاح و الخير و الايمان ، وقد رفضوا العمل بها فقط ، لأنها جاءت من غيرهم ولم يكونوا على قمتها و الداعين اليها و هذه الدعوات غير مرغوبة ان كانت من وحي الاخرين بل عملوا على محاربتها و يهدفون الى الغاء هذه الافكار فقط لأنها تنافسهم [٤٢] .

الخاتمة

وفي نهاية دراسة موضوع الأهداف الفكرية للصِدام الحضاري في فكر الإمام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة يمكن الخروج بجملة من النتائج :-

١- إن الأهداف الفكرية المسببة للصِدام الحضاري تتولد نتيجة لتعصب المجتمعات البشرية لآرائها التي تتبناها و ثقافاتها .

٢- إن تعصب المتصادمين لأفكارهم ينتج من اتباع أهوائهم او نابع من خوفهم على مصالحهم السياسية و الاقتصادية .

٣- يستخدم المتصادمون أساليب قاسية وهادمة للمجتمعات لمجرد وجود الاختلاف الفكري وعدم تناسب المعتقدات مع الفئات الأخرى و من أجل فرض أفكارها وثقافاتها بالقوة حتى وإن كلف الأمر تصادمهم مع الحق .

٤- بينت المفاهيم التي طرحها الإمام علي (عليه السلام) إن الاختلافات الثقافية و الفكرية بين الحضارات ليست عاملاً مساعداً للصِدام الحضاري بل وجدت من أجل تطوير واقع المجتمعات الى الأفضل عن طريق استغلال هذه الاختلافات ايجابياً والوصول الى التكامل.

٥- الدراسة هي نوع من أنواع وصور التنمية الفكرية لمواجهة الأخطار المعنوية والمادية ووضع الحلول لها .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٧ - آذار لسنة ٢٠٢٢

الهوامش :

[١] الطباطبائي ،تفسير الميزان ، ٦٠/١١
[٢] نهج البلاغة ، ٢١
[٣] وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى : **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)** التوبة ، ٣٠ ، حيث يعد هذا نموذج من نماذج الانحراف عند اليهود و النصارى ، حيث اعتبرت جماعة من اليهود ان عزيراً ابن الله وهو اله و المسيح اعتبروا النبي عيسى هو ابن الله ويعود السبب الى الاعمال و المعجزات الكبيرة التي قاموا بها التي لا تكون عند الانسان العادي و اعتبروا هذه الاعمال امتيازا ذاتياً يتمتع به بعض الاشخاص لارتباطهم بالله بعلاقة جسدية و لم يعتبروا هذه المعجزات مظهرا يرتبط بحركة الرسالة التي تواجه هذا الانحراف ، فضل الله ، تفسير من وحي القرآن ، ٨٩/١١ ، وينظر : الطبري ، جامع البيان ، ١٤٣/١٠ ؛ ابن الزمنين ، تفسير ، ٢٠٢/٢ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ٤٣/٥ ،
[٤] ينظر : ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١١٧/١-١١٨ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٠/١ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٧/١
[٥] نهج البلاغة ، ٢٥١
[٦] ينظر : ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٧٥/٨ ، حبيب الله الهاشمي الخوئي ، منهاج البراعة ، ٣٠٩/٨
[٧] مكارم الشيرازي ، نفحات الولاية ، ٢٩٧/٥
[٨] نهج البلاغة ، ٦٧
[٩] الخراساني ، مفتاح السعادة ، ٥٤٢/٥
[١٠] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٢١٤/١ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥٧/١
[١١] نهج البلاغة ،٣٨٩
[١٢] ذهب بعض الشراح الى ان هذا الخطاب موجه الى الفئة الباغية في الشام و اتباع الطاغية معاوية بن ابي سفيان هم الذين حاربوا الله و اظهروا العداء الى اوليائه الصالحين ،ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥٩/٤ و اخرون ذهبوا الى انه موجه الى طغاة الكوفة والعراق الذين اثاروا الصراعات بين القبائل و اججوا الحروب التي ادت الى المزيد من الفساد و اراقة الدماء ، مكارم الشيرازي ، نفحات الولاية ، ٢٩٠/٧ .
[١٣] ينظر : ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥٩/٤ ، مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١٢٠/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٠٠/٣
[١٤] نهج البلاغة ، ٦٧
[١٥] ينظر : الحسيني ، الديباج الوضي ، ٣٨٣/١ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥٧/١
[١٦] الانعام ، ١١٢
[١٧] ينظر : الثعلبي ، الكشف والبيان ، ١٨١/٤ ؛النيسابوري ، الوجيز ، ٣٧١/١ ، فضل الله ، من وحي القران ، ٢٧٩/٢
[١٨] ان كلمة (شيطان) لا تشمل فقط ابليس و اولاده بل ان الشيطان في اللغة تعني كل متمرد سواء من الجن او الانس او الدواب و قد سمي المتمرد شيطانا بسبب مخالفة اخلاقه وافعاله اخلاق اقرانه من ابناء نوعه وبعده عن الخير ؛ الطوسي ، التبيان ، ٢٣/١ ؛ الحلي ، موسوعة ابن ادريس الحلي ، ٤٢/١ ، لذلك ورد في الآية القرآنية نوعين من الشياطين يحاربون الحق و يعادون كل نبي يبعث و يوحي بعضهم الى بعض بالقول المموه المزين بظاهره فيظنوا ان فيه خيرهم وصلاحهم ، الشريف الرضي ، تلخيص البيان ، ١٣٩
[١٩] الحجر ، ٣٩
[٢٠] نهج البلاغة ، ٣٨٧
[٢١] ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة ، ٢٣٧/٢ ، الحسيني ، الديباج الوضي ، ١٩٨٣/٤ ، شبر ، نخبة الشرحين ، ١٣٨٢/٣ ، مكارم الشيرازي ، نفحات الولاية ، ٢٧٩/٧
[٢٢] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٩/١٣ ، و ينظر : الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣٩/٣
[٢٣] نهج البلاغة ، ٨٧
[٢٤] ينظر : مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٧١/١ ، الموسوي ، نهج البلاغة ، ١١٢/١؛ حبيب الله الهاشمي الخوئي ، منهاج البراعة ، ٢٦٩/٢
[٢٥] المجلسي ، مرآة العقول ، ١٨٥/١

[٢٦] ينظـر : الموسـوي ، شـرح نهـج البلاغـة ، ٣٦٤/١ ، مكـارم الشـيرازي ، نفحـات الولايـة ، ٣٥٨/٢ ، الخراسـاني ، مفتاح السعادة ، ٨٤/٧
[٢٧] نهج البلاغة ، ٢٤
[٢٨] بـدأت بـوادر الانحـراف الفكـري تظهـر بعـد زمـن نبـي الله ادم (عليـه السـلام) و بـدأ بنـي ادم يعبـدون غيـر الله إذ ذكـر المؤرخـون قِدم وجـود عبـدة الاصـنام و الـدليل علـى ذلـك ان نبـي الله نـوح عليـه السـلام الـذي يعـد مـن اقـدم الانبيـاء وصـلت الينـا قصـته تفصـيلاً قـد بعـث لقـوم عبـدوا الاصـنام كمـا جـاء فـي قولـه تعـالى : **(قَـالَ نُـوحٌ رَبِّ إِنَّـهُمْ عَصَـوْنِي وَاتَّبَعُـوا مَـنْ لَـمْ يَـزِدْهُ مَالُـهُ وَوَلَـدُهُ إِلَّا خَسَـارًا * وَمَكَـرُوا مَكْـرًا كُبَّـارًا * وَقَـالُوا لَا تَـذَرُنَّ آلِهَـتَكُمْ وَلَا تَـذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُـوَاعًا وَلَا يَغُـوثَ وَيَعُـوقَ وَنَسْـرًا)** نـوح ، ٢١-٢٣ ، و هـذا يـدل علـى ان عبـادة الاصـنام كانـت موجـودة قبـل النبـي نـوح (عليـه السـلام) و قـد ذكـر ابـن عبـاس : ان بنـو شـيث يـأتون جسـد آدم فـي المغـارة ويعظمونـه ويترحمـون عليـه ، فقـال رجـل مـن بنـي قابيـل بـن آدم : يـا بنـي قابيـل إن لبنـي شـيث دوارا يـدورون حولـه ويعظمونـه ولـيس لكـم شـيء ، فنحـت لهـم صـنما فكـان أول مـن عملـه . ينظـر ، ابـن الجـوزي ، المنـتظم ، ٢٣٢/١ ، ، يـاقوت الحمـوي ، معجـم البلـدان ، ٣٦٧/٥ ، و انتقلـت بعـد ذلـك عبـادة الاصـنام الـى الاقـوام اللاحقـة تباعـاً حتـى وصـلت الـى مكـة وهجـر ديـن نبـي الله ابـراهيم (عليـه السـلام) ديـن الحنيفيـة و ان اول مـن ادخـل عبـادة الاصـنام اليهـا هـو عمـرو بـن لحـي الخزاعـي ، ينظـر : الطبرانـي ، المعجـم الاوسـط ، ٧٢/١ ؛ ٨٣ ؛ السـيوطي ، الجـامع الصـغير ، ٤٣٥/١ ، و ان وسوسـة الشـياطين و اتبـاع الاهـواء هـي وراء هـذا الانحـراف الفكـري و كمـا اشـارت الآيـات القرآنيـة فـي قولـه تعـالى : **(انْ يَـدْعُونَ مِـنْ دُونِـهِ إِلَّا إِنَاثًـا وَإِنْ يَـدْعُونَ إِلَّا شَـيْطَانًا مَرِيـدًا)** النساء ، ١١٧ .
[٢٩] ينظـر : ابـن ميـثم البحرانـي ، شـرح نهـج البلاغـة ، ٢٤١/١ ؛ الموسـوي ، شـرح نهـج البلاغـة ، ٦٤/١-٦٥ ؛ مكـارم الشيرازي ، نفحات الولاية ، ١٨٧/١
[٣٠] ٢٠٦
[٣١] ينظر : مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١٤٧/٣
[٣٢] البقرة ، ٨٧
[٣٣] ينظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ١٢٦/١ ، الطوسي ، التبيان ، ٣٤٠/١ ، ٢٧٠/١ ، فضل الله ، من وحي القران ، ١٢٤/٢
[٣٤] البقرة ، ١١٣
[٣٥] وينظر : الطوسي ، التبيان ، ٤١٥/١ ، ابن حيان ، تفسير البحر المحيط ، ٥٢٢/١ ، مغنية ، الكاشف ، ١٨١/١
[٣٦] البقرة ، ١٢٠
[٣٧] الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ٢٥٦/١ ؛ وينظر : مغنية ، الكاشف ، ١٩١/١
[٣٨] نهج البلاغة ، ٢٤١
[٣٩] ابـن ميـثم البحرانـي ، شـرح نهـج البلاغـة ، ١٣٤/٣ ؛ و ينظـر : حبيـب الله الهاشـمي الخـوئي ، منهـاج البراعـة ، ١٩٦/٨ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٢٤٤/٢
[٤٠] ينظر : ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١١٣/٨
[٤١] نهج البلاغة ،٩٥
[٤٢] ينظر : حبيب الله الهاشمي الخوئي ، منهاج البراعة ، ٣٧٥/٤ ، مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣١٦/١ .

المصادر :

- **القرآن الكريم .**
- **ابن ادريس الحلي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ، (ت٥٩٨هـ /١٢٠١م).**

١- المنتخب من تفسير القرآن ، تح : محمد مهدي الموسوي ، ط١ ، العتبة العلوية المقدسة ، النجف ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .

- **الثعلبي ، احمد بن محمد بن ابراهيم ، (ت٤٢٧هـ /١٠٣٧م) .**

٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تح : الإمام أبي محمد بن عاشور ، ط١ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

- **ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (ت٥٩٧هـ / ١٢٠١م) .**

٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م .

- **ابن ابي الحديد ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي ، (ت ٦٠٦هـ / ١٢٥٧م) .**

٤- شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، (د- م) ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

- **الحسيني ، ابي الحسن يحيى بن حمزة بن علي ، (ت٧٤٩ هـ /١٣٤٨م) .**

٥- الديباج الوضي في كشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة) ، تح : خالد بن قاسم ، ط١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، صنعاء ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م) .

- **ابن ابي الزمنين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى ، (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) .**

٦- تفسير ابن زمنين ، تح : بو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز ، ط١ ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م .

- **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت٩١١ هـ / ١٥٠٥م) .**

٧- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- **الشريف الرضي ، السيد محمد بن الحسين بن موسى ، (ت٤٠٦هـ / ١٠١٥م) .**

٨- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تح : محمد عبد الغني حسن ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥.

- **الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد ، (ت ٣٦٠هـ / ٩٧١م) .**

٩- المعجم الأوسط ،تح : قسم التحقيق بدار الحرمين ، دار الحرمين ، (د-م) ، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م .

- **الطبرسي ، أبي علي الفضل بن الحسن ، (ت ٥٤٨هـ / ١١٣٥م) .**

١٠- مجمع البيان في تفسير القران ، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

- **الطبري ، أبى جعفر محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ / ٩٢٣ م) .**

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح : الشيخ خليل الميس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

- **الطوسي ، ابي جعفر محمد بن الحسن ، (ت ٤٦٠هـ ، ١٠٦٧م).**

١٢- التبيان في تفسير القرآن ، تح : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٩ .

- **علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ، الإمام ، (ت ٤٠هـ / ٦٦٠م) .**

١٣- نهج البلاغة ، ضبط /صبحي الصالح ، ط٨ ، دار الأسوة ، طهران ، ١٤٣٨ هـ .

- **قطب الدين الراوندي ، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله ، (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) .**

١٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تح: عبد اللطيف الكوهكمري ، مكتبة المرعشي ، قم ، ١٤٠٦ .

- **ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م).**

١٥- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ،تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٢ م - ١٤١٢ هـ .

- **المجلسي ، محمد باقر ، (ت ١١١١هـ /١٦٩٩م) .**

١٦- مرآة العقول في شرح اخبار آل الرّسول ، تح : السيّد مرتضى العسكري ، ط٢ دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٤٠٤ .

- **ابن ميثم البحراني ، ميثم بن علي بن ميثم ، (ت ٦٧٩هـ /١٢٨٠م) .**

١٧- شرح نهج البلاغة ، ط١ ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٨هـ .

- **الواحدي ، أبي الحسن النيسابوري ، (ت٤٦٨هـ / ١٠٧٥م) .**

١٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تح : صفوان عدنان داوودي ، ط١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

- **ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، (ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م) .**

١٩- معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

المراجع :-

- **حبيب الله الهاشمي الخوئي ، (ت ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م).**

٢٠- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تح : السيد إبراهيم الميانجي ، ط٤ ، دار الهجرة ، قم ، (د-ت) .

- **الحسيني الشيرازي ، سيد محمد .**

٢١- توضيح نهج البلاغة ، دار التراث ، طهران ، (د-ت) .

- **الخراساني ، محمد تقي النّقوي القايني .**

٢٢- مفتاح السّعادة في شرح نهج البلاغة ، مكتبة المصطفوي ، طهران ، (د-ت) .

- **الطباطبائي ، السيد محمد حسين ، (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م) .**

٢٣- الميزان في تفسير القران ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، (د-ت) .

- **فضل الله ، السيد محمد حسين .**

٢٤- من وحي القرآن ، ط٣ ، دار الملاك ، بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- **مغنية ، محمد جواد ، (ت١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م)**

٢٥- في ظلال نهج البلاغة ، ط١ ، مطبعة ستار ، (د-م) ، ١٤٢٧هـ .

٢٦- التفسير الكاشف ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨م .

- **مكارم الشيرازي . السيد ناصر .**

٢٧- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة ، ط١ ، مدرسة الإمام علي (عليه السلام) ، قم ، (د-ت) .

- **الموسوي ، عباس علي .**

٢٨- شرح نهج البلاغة ، ط١ ، دار الرسول الاكرم ، بيروت ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٧ - آذار لسنة ٢٠٢٢